وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

رجل مشحون بالندم

شعر

محمد عبيدو

من الشعر العربي ١٩٦

رجــل
مشحون بالندم

محمد عبيدو

رجل مشحون بالندم

شعر

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٢م

رجل مشحون بالندم: شعر / محمد عبيدو. - دمشق: الهيئة
العامة السورية للكتاب، ٢٠١٢م. - ٦٤ ص؛ ٢٠ سم.

(من الشعر العربي؛ ١٩٦)

١ - ٨١١,٩٥٦١ ع ب ي ر ٢ - العنوان
٣ - عبيدو ٤ - السلسلة

مكتبة الأسد

من الشعر العربي

«١٩٦»

(شقاوات صغيرة)

«يحدث أن يأتي الموت في منتصف العمر لأخذ قياساتنا يطوي النسيان هذه الزيارة والحياة تستمر، لكن الثوب يُخاط بلا علمنا»

ترانسترومر

كرجل مشحون بالندم

يعجبني ظلك بالليل

البارد كالرخام

صوتك المسرود بالريح

يرن

يفتح الأبواب

ينسل كشعاع عسل.

*   *   *

منذ رأيتك اختفت

تجعدات كهولتي.

*   *   *

أحس نفسي

غابة من الشقاوات الصغيرة.

*   *   *

أهز خوخك

وأرى في عينيك

قصيدتي التي لم تكتب.

*   *   *

أمشي حاف في ينابيعك

وأمسك بشباكي صوتك الراكض

على حافة الماء

*   *   *

أنا أجمع كل الياسمين

لوقع

عطرك

على

الدرج

*   *   *

في الطريق إلى نومك

أسرد عمراً

من التثاؤب والتعب

وأنا شاحب

*   *   *

تظهر

لا كي ترى

ترسم طريقاً لمخمل غيابها

*   *   *

ولأنني لم أعد خائباً

أقفلت الكثير من النوافذ المغلقة لروحي

ولم اعد صحراء.

*   *   *

أدخن

بنعاس

الغليون

وأخفي سعال صدري

بكلام الغياب.

* * *

أرتجل حريقاً في كأسي

صديقة بعيدة

تطلب مني أن أشرب نخبها

في بار دمشقي عتيق.

* * *

في شفافية الضوء

أعزف في أعماقك

الإشارة الحقيقية لطريق صعبة.

* * *

مطر صيفي خفيف

أتى في غير أوانه

يرشح على النافذة

والضجر

وعراء الروح.

* * *

كل شيء مناسب

تفاصيل دقيقة لهذا الفراغ

الذي يسند هلاكي.

*   *   *

القلب المهشم

مفعم بقلق الانتظار

وبخطوات الصمت

على الرمال.

*   *   *

الفضة متناثرة

والكلام قليل

نرفع الأقداح

لنهذي مع الوقت

لصمت طويل.

*   *   *

في منتصف الأربعين

شعري تساقط الكثير منه

وأسناني خسرت الكثير منها

قماشة خوفي لم ترتق..

*   *   *

سأقيم هنا

في الكلمات

حيث الزمن والألم

يخلق الأمل.

*   *   *

يالثقل الأبواب المغلقة

أسمع أغاني «داليدا»

لم أحسب أن الزمن بهذا الطول هنا

أحذف الوقت بالكتابة.

*   *   *

أتأمل الإطار المتهرئ

لصورة..

الوجه لا يريد أن يتشكل بالذاكرة

آاااااااااااه

يا للزمن..

السائر كنهر بلا نهاية

لم يبق سوى خرافة ظلك

وتذكر الأصدقاء في الأحاديث المسروقة

من الموت.

* * *

أنا نبض هائل

لشغب الأصدقاء

رحالة مقيد ببؤسي

وأقماري المدمرة.

* * *

أصدقاء يتأملون الفراغ

وأشباح عمرهم

وهرم ظلالهم القلقة

ينتظرون انقضاء الوقت

* * *

أصدقاء يمضون مع الريح

والصدى

حيث الأجساد تتألم

وتغني..

تاهوا في الأندلس وباريس

ودمشق وبيروت وتونس والجزائر

سافروا بالصمت والظلال

في المدن الفارغة..

بوجوه خافتة

يحلمون بالعودة للوطن

لتلمح أعينهم نهاراً صافياً.

* * *

عبر ليل طويل

أبحث عن صمت

عن فرحٍ قاسٍ

في مياه الموت.

* * *

(حلم على طاولة)

حين الوقت يمضي لكسله

تحلم

وتترك حلمك على الطاولة

لتبصره

حين تنهض من نوم عميق

متروكاً

حيث ترغب..

* * *

الضجر يتهادى بلا مبالاة

الظل يرمي صقيعه

على بابك..

* * *

الحائط البارد

والسرير والأوراق

والصداع

ورائحة الحبق

في الابتسامة الهاربة..

*   *   *

كان الرخام

يزين العتبة

مع انسكاب خمرة الليل

على عشب رحيلك.

*   *   *

اللوعة على وجهك

شقاء عتيق

ترمق العتبة

بهواء قليل تعيش

بأناقة مهملة

ترشف كأس نبيذك

وترفو مخمل الطيف البعيد..

*   *   *

تفتح للأصدقاء

ما هو ضائع

في النار المهجورة

في الصحراء

تحرك الكلمات

في ساحة صراخك.

*   *   *

بلا قلب

وبحلم مذعور

يقترب صوتك همساً

تحاول أن تنّيم الوحشة

في ليل ثقيل..

*   *   *

(على حائط أيامك)

"لا ليس أنا، إنه غيري من يتألم
مثل هذا الألم ما كان في طاقتي
واحتمالي"

(آنا اخماتوفا)

طويلاً استمرت الطفولة

بلا ضجيج ولا سرعة

واصلت انعكاسها على حائط أيامك

وبعد لديك ليال طويلة

وقلوب متعددة

ومسارات جارحة

من اضطراب الماء

المرهق والقلق

نضَيت عنك ملابس الشتاء

وحاولت تجميد طفولتك

في منزل حلم..

قامرت كخاسر دائم

وسرحت ببصرك طويلاً

حتى اصطدامه بالماء

سرحت ببصرك

لآخر النحيب.

كان جسدك يستعيد الغضب

يحمل الغمام

وورود الشهوة

في سهول مرآتك الخضراء..

ثقل لذيذ في أعضائك

ونشوة

ورغبة غامضة

تعابث الموت

وتستقوي بالانتحار الجميل

في الختام دائماً الهلاك..

* * *

(الطيران قرب الموت)

مطر خفيف على النافذة

ووقع قديم

صمت يتوقف ويحاور الحائط والظل والباب

هاهي الأريكة التي جلست عليها

بشعرك المتطاير

ووجهك المائي..

غامضة كطائر تغويه صعوبة الطيران قرب الموت

فاتنة كاللهاث

بأنفاسك الرقيقة

ووردة جسدك..

تغنين بشغف

وتشربين النبيذ

تزرعين فتنة في الروح

وهو يلتهمك بروية مع القبلات..

* * *

(وحشة الأسرار)

وكان يجب أن أمضي لأبصر لحظة الموت

لحظة الوجد..

مع توتر القلب

استلقت روحي

مع

الصراخ

الرهيف

على الأوراق

وأعطت نفسها للبياض

وهو، أي الموت، محدثي الأليف

يرنو إلى عتمتي

بوحشة الأسرار يصنع حبر صمتي..

* * *

(ظلال قبلة)

بحبق الشغف

أغمرك

وتظهر رخامك يداي كنحات

بغواية الجنون

والقهر المعتق

ورقصة الخمر على هاوية

أزينك بالياسمين

وأراودك بظلال قبلة

* * *

(التفاصيل البليغة للفراغ)

"انقطعنا عن الكلام مع الذين نحبهم،
بيد أن ذلك لم يكن صمتا أبدا"
رينيه شار

يتكلم

كمن يطوح الهواء من ياقته

يتكلم

كمن يرمي أشلاءه على الظلال

على الكراسي والنافذة والسرير

والجدار البارد

يتكلم

كمن يفرد روحه

على هذا الركام

والضجر

والتفاصيل البليغة للفراغ

يتكلم

كمن يعلق وردة

على قميص فتاة

عائدة من مشوارها المدرسي

ثم يدلف للبيت

الذي يجمع المداخل الموحشة لروحه

يتكلم

كمن يصنع نبيذاً

يكفي لألفة الأصدقاء الطويلة

يتكلم

كمن ينظر إلى امرأة

تفرد يديها

وتتأمله من قارة أخرى للفراغ.

يتكلم

كمن سيحيا بعد موت

يملأ نهاره بعد ليل ثقيل.

* * *

(جسد يخطو نحو نار)

وكان جسدها يأتي إلي محملاً بالغمام

يجعل إيماءاتي تتفجر

يرقص مع أصابعي

يتوهج

جسدها العازف بأوتاري

يخطو

نحو

نار

أظهرته أصابعي كقصيد شهواني

وشكلته عيناي كتمثال مرمر..

أراه كقوس متوتر لأجلي

لا حدّ لفراغه..

آهاته تصلني عبر الصمت

كصرخة..

أطلقت أغنيتي

وكانت فيها عشر نساء

شكلن مرمرها.

*   *   *

(هشاشة الكائنات)

كمن يحصي خساراته

أو كمن يحصي زمناً من الرغبات

يأتيك بعذوبة

العبث الغامض

في ذكرى الفتنة العابرة

يأتيك كالومضة

ويحملك إلى الضوء

ذريعة لإظهار هشاشة الكائنات

*   *   *

(رقة يديك في الفجر)

أشرب كأساً تلو الأخرى

لأستدرك الوحشة

وأذهب إلى نومي

لتغسل روحي تعبها

تعب كأنه الهلاك

وجسمي يمضي كما إلى موات

لا أجد ظلي

جسدي شف

حتى لم يبصر في العتمة أو الضوء

أذهب إلى نومي

في السكينة العميقة

لليلي الطويل

وأحلم أن توقظني رقة يديك في الفجر..

* * *

(غامضة كرغبة بعيدة)

وكانت غامضة

كرغبة بعيدة

انسل صوتها

في ماء الانتظار

وكان جسمها منارة

وشاطئ

وعسل

وأزهار انتظار..

راودتها

أعدت اكتشاف ضحكتها الراكضة

وعطرها

خضت غمار وقتها

وأكلت خبز صدرها

وخزامى سرتها..

* * *

(تهيئ جسدك لصباح بارد)

مع الشعر الخائب

وموسيقى الأفلام

ورائحة القميص المجعد

وقليل من نبيذ الجبل

والنعناع والزيتون والبرتقال

والسجائر

وأغان فيروزية

تستحضر نساء جميلات

منشورات كشتلات الورد على عتبة النافذة.

مع الصمت المنسل عبر ليل الغرفة

تهيئ جسدك لصباح بارد

*   *   *

(النشوة مكتملة عبر ثوان)

ربما أنا رجل متعدد القلوب

وأنت نسوة كثيرات في امرأة

احتفالاً بالمرأة التي تكونينها

دعيني أسبح في صفاء مياهك

مع ارتشاف النبيذ

أشربك

النشوة مكتملة عبر ثوان

الإثارة مندفعة مع اكتشاف يدي

لحلمتيك

ومسيرهما عبر عمودك الفقري

واكتشاف نكهة القرفة

بين ثنايا قميصك.

*   *   *

(حياة على هاويـة)

أن تقيم الحياة

على الهاوية..

أن يصبح الخوف بيتك

وتتابع الوجوه الموشحة بالوجل

والتغضن

والتعب..

أن ترسم الدروب إلى أيدي أصدقائك

وتعد روحك

بلمسة..

أن تنظر بعيني مراهق بالأربعين

إلى جميلات سائرات

في ليل الرصيف

وتحلم بيدين رقيقتين

يأخذنك لنوم عميق..

أن تتبع ضواحي روحك

وتحلم بنهار يتبع امرأة غامضة

تدعوها إلى نبيذك..

أن تغادر النافذة

نحو صمت طويل..

* * *

(خاسر وتعاند)

طائش كان القلب

وخاسر

يتجول وحيداً في مدينة

تتأرجح بين الحياة والخراب

عصياً على التدجين

ويعاند

الارتحال عن البلاد

* * *

(المستحمة بالندى والشيح)

متمهلاً

نزلت الشارع المبلل بالمطر

عبرت بشر يريدون العيش

رغم جروح الكرب على جباههم..

متمهلاً

اقتربت من الشرفة

بخطوات يظللها الغموض

ترمق، ووقاحة العصفور في عينيك، وجه الفتاة

المستحمة بالندى والشيح..

* * *

(بلا عدالة)

من كتاب العدم

يطل الموت

ويقول:

كنت صحراء العتم

في مدن بلا عدالة ولا حرائق

تمضي للهلاك..

يطل الموت

على وحشة أيامنا

ويراقب نثار الضوء المستجد في حياتنا.

* * *

(لحظات فرح مختلسة)

كلانا كتبنا القصائد

وعشنا فرحنا وقلقنا وكآبتنا طوال ليال

في شوارع المدينة العتيقة

وعلى الامتداد الجنوني لشاطئ البحر

وعشنا شهوتنا

بجنون

وأنفاس رقيقة

لحظات فرح مختلسة

*   *   *

(اختـراع الكلمات)

تبدأين أوقاتك باختراع الكلمات

وتلمّس وجهي الذي أفلت

تتذكرينني وتستحضرينني

بيديك ومخملك وعطرك

وجرة الصمت في فضتك الزائلة

بعريك وقهرك وقرنفلك

وريح الرغبة في أنفاسك

أرعن كان القلب

وفزعاً

وطائشاً

ومشتهى

هتف لك:

كيف سنملأ المسافات بين قارتين من لهاث؟

تلمّينني من الفراغ

وتزرعين في خريفي

أملاً صاعداً نحو الحلم

بشغبك

ورزمة حماقاتك

تحملينني نحو الضوء

* * *

(صديق راودته البارات كثيراً)

يا صديقاً راودته البارات كثيراً

وراود جسدك المشتعل بالرغبات النساء طويلاً

تشرب مع الشعراء الشباب نبيذهم

وتستمع لقصائدهم الحديثة

محدثاً إياهم عن لغتك العتيقة

ويا خائباً أدمن احتمال الرحيل

تشتهى وطناً بنيته بالحلم

مترف بالجمال والعدالة

يرفعك للغناء أو الانتحار

* * *

(لن تكون وحدك)

«لـن يـدركوا أن سـلاحه الوحيـد إدراكـه أنه محاصر»

ريتسوس

لن تكون وحدك

رغم الخسران

والزبد

والهذيان

وقسوة الهاوية.

لن تكون وحدك

رغم شغور الأمكنة

وترقب ميتات بلا مواعيد..

لن تكون وحدك

فضوء يبزغ

مع كلماتك

ودمعك

وغبارك

وتذكاراتك

وحطامك المنسي

يكشف صمت القبور

وجدران السجون..

* * *

(فرح قاس)

يتبعثر شعرك في الغابات

يتزين عنقك بالثلج

تلوح ابتسامتك بالفرح القاسي

وحليبك الغامض

تسكبينه

ليصنع لي الريح

والفجر الذي يضيء خطواتي

* * *

(خط الفراغ)

من قارة الصمت
أهيئ للأناشيد معطفاً
من وجع الحنين وخط الفراغ
أدلف
لبرية الروح
مع الشيح والدردار والقصب
وأشجار البطم
تمتد رمادية الأرض
لتتماهى مع قماشة الأسى
المستل من طفولة غائمة
والمبعثر في دروب أيامك..

* * *

(اشتهاء الحرية)

لم أكن أعرف أن الحبق بكاء

وأن العشق هلاك

يحرق بعذوبة الغموض

و يحرق جمال الغياب

وجسداً هالكاً

يروم كتابة الأناشيد

والأحلام المطاردة باشتهاء الحرية

*   *   *

(عطر مبدد)

أوراق

الدردار الشحيحة

والحبق المبدد عطره

على العتبات

المنسل من ذاكرة الطفولة

والاستغراق القصي

يمضي بنا إلى الشهوة الضارية

والحلم

بعد شقاء طويل

* * *

(أقل من الصمت)

نعيد ترتيب الملابس
والوجوه
مع تعب بلا نهاية
غياب
أقل من الصمت
صخب يحاصر الذاكرة
الألم يهتدي
إلى مفردات قلوبنا المتناثرة
فوق خراب الهاوية
والصرخة تنطلق فيما يركن العالم إلى الصمت
وننضم لمن يقتلون الخوف في الشوارع
إلى أي حلم أو موت
ستؤول هذه التمردات
في مدينتنا الضائعة.

* * *

(أغنية هزمت ذبولنا)

رهف النحيلة كعود البيلسان

التي خرجت بياسمين

وموسيقى وهتاف

في حي باب توما..

وردة السلمية

خرجت بظلها الرقيق

على مخمل الغروب

في مساء دمشقي حزين

تنشد أغنية للوطن بلا نهاية

هزمت خوفنا

وأكدت لنا

نحن الذين نؤجل حياتنا

ونتحصن بالذبول

ونؤجل أغانينا وقصائدنا

إن الحبر يسيل

مع ضوءنا القادم

وأن الوجوه ورود

والثواني الطويلة حنين

لأحلام بلا نهاية

للبياض

وأن التعب يميل

جامعاً نثارنا المحطم

ليركض بعيداً عن جباهنا

والزمن الذي كان اسمه موتاً

صار حرية..

* * *

(فراغ مترامي)

الفراغ المترامي للعالم

هجر كل الكلام

وكل شظاياه الضامرة

وركن للصورة الحقة

الصورة التي تلتقط

الخوف المنسرب من فم الفراغ

والتحدي الواقف على حافة الهاوية..

*   *   *

(الأزرق الممتد كأغنية)

ضجري يتجاوز كل الحدود

وأنا أتنفس الحلم في الخفاء

أصنع تمثال سرابي بالليل

أصعد قبة الكلمة لأهز وردها

أستندُ إلى شجرةٍ ما، نهر،، قوس السماء،غيمة تمضي مع فم الريح

وأقطف بصمت عطر حبق بيتي العتيق..

كابوسنا مستمرٌ منذ عقود

شحوبنا نفد صبره بانتظار الموت

ونحن نجلس لنرى الأزرق

الممتد كأغنية.

* * *

(يوم الجمعة)

ابقى في المنزل،

يكرر والدي نصيحة يوم الجمعة، عبر الهاتف

ليطمئن قلقه في مدينته الصحراوية..

أستيقظ مبكراً

ألملم النبيذ وبقايا مائدة الأمس

النت مقطوع

وكذلك الكهرباء

والأخبار تقطر من أصابعنا

يسيل الوقت

من خزائن القلق

ترقب

وانتظار

وضجيج مفزع في الشوارع

* * *

(يـرحل مثل نهر)

لم يكن دائماً انكساراً
يأسنا
المنصت إلى الضوء
المنسكب على صفحة الماء
لم يكن دائماً صمتاً
ألمنا المجروح
الذي يرحل في امتداد الوطن
كما نـهر إلى مصبه
لم يكن دائماً سراباً
حلمنا
الذي ينطلق عارياً متصدعاً
يصارع حصاره
يتحدى موتتا
ومرمر أرواحنا
يختزن الضوء..

* * *

(كآبة الهواء)

إنه قلبي
الوطن الأكثر حزناً
فجأة هطلت قطرات من المطر
مطر خفيف
على بلور نافذتي الضجر
كسرت كآبة الهواء
ورشحت بارتعاشات عذبة
من الألوان والأصوات
الضوء يسيل
إلى فضة أرواحنا
عذوبة كبيرة من الألفة
تجمعنا
ترتب يأسنا
تقتل الخوف على أرصفة المدينة الشاحبة

* * *

(ريح الكلمات)

نصغي للظل الذي يبلل أرواحنا

ونمضي في الرحيل المؤكد

يهدأ صوتنا الذي كان يحمل الموت

صوتنا الذي تنثره ريح الكلمات

ونتوه بانتشاء مع صور

كالطرق التي مشيناها

* * *

(حقول الندم)

تنازع روحي حالات عدة
بين فصول الخوف
وغبار الأزمنة
وحقول الندم الشاسعة
أبني شجوناً
على عتبة الضوء
لامرأة تغسلني بلطف روحها
وتلويحة يدها البعيدة
لشرودنا المضطرب على أطراف الحلم
للخوف تحت الجلد
لابتسامة الموت
والخطا القديمة
والدم المنثور في الورد

لحريق العشب على مساحات النحيب

للجسد يضيء

هوامش الصمت العتيقة

* * *

(ضجر ضلل الضوء)

الجسد يشف

في المساء المتثاقل الخطوات

بالغياب الناعس

والحسرة

وهفوات الموت..

نركن إلى الشعر

ونظنه قد راودنا على الابتعاد

كي لا نهلك على صدور الجميلات..

نهب أعمارنا المتبقية

ونخرج عن الوقت

المائدة فارغة من شغفها

من شهواتها

ومن ألفتها

فالضجر ضلل الضوء الذي اعتاد أن يقود خطانا..

* * *

n

	الصفحة
شقاوات صغيرة	٥
حلم على طاولة	١٣
على حائط أيامك	١٦
الطيران قرب الموت	١٨
وحشة الأسرار	١٩
ظلال قبلة	٢٠
التفاصيل البليغة للفراغ	٢١
جسد يخطو نحو نار	٢٣
هشاشة الكائنات	٢٥
رقة يديك في الفجر	٢٦
غامضة كرغبة بعيدة	٢٧

الصفحة

تهيئ جسدك لصباح بارد ٢٨

النشوة مكتملة عبر ثوان ٢٩

حياة على هاوية ٣٠

خاسر وتعاند ٣٢

المستحمة بالندى والشيح ٣٣

بلا عدالة ٣٤

لحظات فرح مختلسة ٣٥

اختراع الكلمات ٣٦

صديق راودته البارات كثيراً ٣٨

لن تكون وحدك ٣٩

فرح قاس ٤١

خط الفراغ ٤٢

اشتهاء الحرية ٤٣

عطر مبدد ٤٤

أقل من الصمت ٤٥

الصفحة

أغنية هزمت ذبولنا ٤٦
فراغ مترامي ٤٨
الأزرق الممتد كأغنية ٤٩
يوم الجمعة ٥٠
يرحل مثل نهر ٥١
كآبة الهواء ٥٢
ريح الكلمات ٥٣
حقول الندم ٥٤
ضجر ضلل الضوء ٥٦

صدر للمؤلف

*** شعر:**

- "وقت يشبه الماء" ١٩٨٧ - دار الشيخ
- "الغياب ظلك الآخر" ١٩٩٢ - بالتعاون مع اتحاد الكتاب – دمشق.
- "تمارين العزلة" ١٩٩٨ - اتحاد الكتاب العرب
- "ارتباكات الغيم" ٢٠٠٤ - وزارة الثقافة دمشق

*** دراسة:**

- "السينما الصهيونية" ٢٠٠٤ دار كنعان - دمشق .
- "السينما الاسبانية" ٢٠٠٦ دمشق"
- "السينما في أمريكا اللاتينية" ٢٠٠٩ - مؤسسة السينما ووزارة الثقافة - دمشق

الطبعة الأولى/ ٢٠١٢م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

رجل مشحون بالندم

شعر





www.syrbook.gov.sy

مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١١م

سعر النسخة ٥٠ ل.س أو ما يعادلها